

مناجح مفسري شبه القارة الهندية في إثبات وجود الله تعالى (صديق حسن خان القنوجي نموذجاً)

محمد رضوان محمود

باحث الدكتوراة بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

الدكتور هدايت الرحمن

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

Abstract

لقد تعددت مناهج العلماء في إثبات العقائد الإسلامية، والرد على ما يخالفها، فمنهم من سار على المنهج النصي القرآني، ومنهم من أضاف إليه المنهج العقلي الكلامي أيضاً. يعتبر الإيمان بوجود الله تعالى أصل الأصول في الدين، وهذا الإيمان أمر فطري في البشر جميعاً، فكل إنسان يقر بوجود الله منذ عهد آدم عليه السلام، والعقل البشري يدرك هذه الحقيقة الاسمي، بما ودع الله فيه من ضرورة يحس بها دون ان يكون بحاجة الى منج مرسوم يسلكه للتعرف على خالقه وبارئيه وكونه من عدم وميسر رزقه وتقلبه في هذه الحياة.

اذ كانت الاشارات التي تشير الى الله اكثر من ان تحصى، انها تنبعث من كل موجود من النبتة الصغيرة الملتصقة بالارض الى النخلة الباسقة الذاهبة في السماء ومن النمل يذب على الارض الى النور المحلقة في الفضاء، بل من كل كائن في الارض الى كل كوكب ونجم في السماء، كل هذه المخلوقات تشير الى هذه الحقيقة، اشارة ضرورية لازمة وحتمية مطلقة فحى من الامور القطعية التي تضافت الادلة الحسية على اثباتها.

وعرفت شبه القارة الهندية بعلماء أفذاذ كثيرين نبغوا في خدمة العلوم الإسلامية، ومن هؤلاء الأفذاذ العلامة صديق حسن خان القنوجي -رحمه الله- في آخر القرن العشرين، وقد ترك هذا العالم الجليل الأثر الكبير والواضح في المجتمعات الإسلامية ولا سيما المجتمعات الهندية والباكستانية من خلال كتبه التي وضعها في مجالات شتى، وأخص بالذكر منها الكتاب المفيد والنافع الماتع التفسير العظيم: فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان القنوجي.

قد ذكر الله سبحانه وتعالى حججاً قاطعة وبراهيناً ساطعة على إثبات وجوده في القرآن الكريم مراراً وتكراراً، فقد بحثنا سبحانه وتعالى على التفسير في هذا الكون وما بينه من بناء السموات إلى الأرض ومن صناعة الجبال إلى الأبحر، ومن إنشاء الجمادات إلى النباتات، ومن خلق الحيوانات إلى الإنسان، ومن إيجاد الخلق إلى الثمار وإلى غير ذلك مما تبين لنا أحياناً بالراحة والبدهة وأحياناً بالتعقل والإشارة من خلال آيات القرآن، فاستدل الشيخ من هذه الاختراعات والإنشاءات على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى موضعاً ومفسراً الأداة من القرآن الكريم حسب منججه.

إثبات وجود الله تعالى عند الشيخ صديق حسن خان:

قد استدل الشيخ صديق حسن خان على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى من القرآن والسنة ولم يتطرق أدلة المتكلمين والفلاسفة، فكل ما استدل على إثباته فهو يدور على هذه الدلائل الخمسة وهي:

- 1- خلق المكلفين
- 2- خلق من قبلهم
- 3- خلق السماء

4- خلق الأرض

5- خلق السموات من الماء النازل من السماء إلى الأرض

يستدل الشيخ بدليل خلق الكون ومنها الإلتفاح بها والتفكر في قوله تعالى:

1- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹

ذكر الشيخ رحمه الله انه ماى الارض والنبات والحيوان والجبال والبحار خلقها الله سبحانه وتعالى لمصلحة الانسان في دينه ودنياه فقال: أما من جهة الدين فهو الإلتفاح والتفكر في عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته، ومن جهة الدنيا فهو الإلتفاح بما خلق فيها² -

فهذا دليل التفكر والاعتبار، حيث من تفكر في آلاى ما بين السموات والارض من المنافع والمصالح للمخلوقات فهو يصل الى الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته -

2- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللِّبَنِ وَالنَّهَارِ وَالظُّلَمِ الَّذِي يُخْرِجُ فِي الْبَحْرِ مَاءً فَالْحَيَاءِ بِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾³

يقول الشيخ: "ففي هذه الآية ذكر الله تعالى هذه القضايا الثمانية التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم"⁴، فلا يستطيع أحد أن يفتد عليه سواه سبحانه وتعالى - فهذه الامور الثمانية:

1- خلق السموات،

2- وتقلب الليل والنهار،

3- وجرى الظلمة في البحر،

4- وانزال المطر من السماء،

5- وإحياء الأرض به،

6- وبث الدواب فيها بسببه،

7- وتصريف الرياح،

8- وتسخير السحاب -

فإن من أمعن نظره وأعمل فكره في أي من هذه الامور الثمانية، انبهره وضاق ذهنه عن تصور حقيقته، وتحتم عليه التصديق بأن صانع هذا الكون هو الله سبحانه وتعالى -

كما استدل بدليل خلق المكلفين وحاجتهم في قوله تعالى:

3- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ - يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ النَّوَىٰ وَيُخْرِجُ النَّوَىٰ مِنَ الْحَبِّ ذِكْمًا وَاللَّهُ فَالِقُ الْوُجُوهِ﴾⁵

4- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ - وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁶

¹ - سورة البقرة، 29.

² - صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 ج1، ص: 119

³ - سورة البقرة، 164.

⁴ - فتح البيان، ج1، ص: 327

⁵ - سورة الانعام، 95.

فجعل الليل راحه وجعل الصبح للعمل وجعل الشمس والقمر محل حساب. تتعلق بمصالح العباد
فيقول الشيخ: "ذكر الله تعالى بالعجز المستصحب عن أدنى شيء منه والخلق الشق أي هو سبحانه شاق الحب فيخرج منه النبات، وقالق النوى فيخرج منه الشجر الصاعد في الهواء،
والحب هو الذي ليس فيه نوى كالخطة والشعر والأرز وما أشبه ذلك، والمعنى أنه إذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة ثم مر عليها زمان أظهر الله منضجها وراقاً أخضر،
ثم يخرج من ذلك الورق سنبدة يكون فيها الحب، ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقاً ضاربة في الأرض، فسبحان من أوجد جميع الأشياء بقدرته وإبداهه
وخلقه، وتبارك الله أحسن الخالقين" ⁷

فإنه تعالى صانع هذا الصنع العجيب هو الله سبحانه وتعالى المستصحب لكل كمال فكيف تصرفون عن الإيمان به سبحانه وتعالى مع ما ترون معابد يصنعها وكما تدرته.

ثم استدل من الآية:

5- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ خَبثًا مُمَرَّكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ يَخْرُجُ مِنْ تَلْحِيْلٍ مِنْ نَظْلِهَا قِتْوَانٌ دَابِئٌ وَجَنَّتِ مِنْ أَغْنَابٍ
وَالزَّيْتُونِ وَالرِّثْمَانِ مُنْتَبِجًا وَغَيْرَ مِثْلِهِ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ⁸

فقد أمرهم الله سبحانه بأن ينظروا وانظر اعتباراً إلى ثمره إذا أثمر كيف أخرج هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة ونقلها من حال إلى حال، إن في ذلك لإشارة إلى ما
ذكره مجملًا ومفصلاً آيات عظيمة التي تدل على وجود الباري الحكيم، فإن حدوث هذه الأجناس المختلفة من أصل واحد وانتقالها من كيفية إلى أخرى على نمط بدلي يحار في
فهمها الأبواب. فهذا دليل الزام مع دليل خلق المكلفين وواجبهم كما يدل على ذلك كثير من الآيات مثل:

6- ﴿ قُلْ مَنْ يُزِيلُ كُفْرًا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَسْمَنُ بِمَلِكِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَسْمَنُ بِلِقَائِ اللَّهِ يُفْعَلُونَ ﴾ ⁹

ففي هذه الآية احتجاج سبحانه وتعالى بحجته صحيح:

1- من يزيل كرم من السماء بالمطر والأرض بالنبات والمعادن

2- من يستطيع خلقها وتسويتها أو من يحفظها من الآفات

3- ومن يخرج الحي من الميت مثل الإنسان من النطفة والطير من البيضة والنبات من الحبة.

4- ويخرج الميت من الحي مثل النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن، أو البيضة من الطائر الحي.

5- وأخيراً من يدير الأمر بين الخلاق أي يقدره ويقضيه.

فيقول الشيخ: "سيكون قولهم في جواب هذه الاستهجمات الحس إن الفاعل لهذه الأمور هو الله سبحانه إن أنصفوا وعلموا على ما يوجب الفكر الصحيح والعقل السليم،
والمعنى الله يفعل ذلك" ¹⁰

ثم انتقل إلى آية أخرى فقال:

8- ﴿ وَالْأَرْضُ مَرْذَلَةٌ فَفِيهَا رِجَالٌ وَأَنْثَبْنَا فِيهَا مِثْلَ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا كُفْرًا فِيهَا مَعَالِشَ وَمَنْ لَنْتُمْ بِهِ بِرَارِ قَيْنَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوِثِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَقْبَلَتْهُ كُوفُهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَائِرِينَ ﴾ ¹¹

⁶ - سورة الانعام، 97

⁷ - فتح البيان، ج 4، ص: 198

⁸ - سورة الانعام، 99

⁹ - سورة يونس، 31

¹⁰ - فتح البيان، ج 6، ص: 56، 57

¹¹ - سورة الحجر، 19-22

فیقول الشیخ: المقصود من الإنبات هو الإنشاء والایجاد¹²

فالثمار إما في اللبونة كاللبياض والسواد ونحوها أو في الطعمية كالحلو والحامض ونحوها أو في القدر كالصغر والكبر أو في الكيفية كالحر والبر وما أشبه ذلك، آيات تدل على وجود الخالق البارئ بالعلم والشكل وفي الرأحة والقدر وفي اللون والنفع والضرر من تفكر واعتبر ونظر نظر العقلاء أن السبب المقتضى لاختلافها ليس إلا قدرة الصانع الحكيم جل سلطانه وتعالى شأنه-

كما استدل بقوله تعالى :

9- ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا كَلِمَ فَيَهْدِيهَا وَيُضِلُّهَا وَيُؤْتِيهَا مِنْ مَنَافِعِهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَكَلِمَ فَيَهْدِيهَا جَمَاتٍ حِينَ تَرْجِعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ الْوِثْلَ كُلَّهُ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ يَسْكُنُوا يَا بَلِغِيهِ إِلَّا لِنَفْسٍ إِنَّ رَبَّهُ لَمُبْدٍ لِرَبِّهِمْ ﴾¹³

فإيجاد السموات والأرض ثم خلق الإنسان من نطفة التي تخرج من حيوان فقلبه أطواراً إلى أن مكنت صورته وانفتح فيه الروح ثم أخرج الله سبحانه من بطن أمه إلى هذه الدار فيعيش فيها-

ثم المنافع ما يستفدون به من الأطعمة والأشربة والخدمة وهي درهاور كوجها ونتاجها والحرابة ونحو ذلك، قد امتن الله سبحانه على عباده بها فهذه آيات تدل على وجود الخالق الصانع الحكيم أيضاً-

قال ابن عباس: " لو تكلفتموه لم تطيقوه إلا بمجد شديد إن ربكم لراءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الجوامل وتيسير هذه المصالح"¹⁴-

كما استدل الشیخ من الآية على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى:

10- ﴿ وَإِنَّ كَلِمَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِزَّةٌ لِنُسُقِهِمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَاغًا لِشَارِبِينَ وَمِنْ مَمَرَاتٍ النَّحِيلِ وَالْأَعْنَابِ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْتَلُونَ، وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾¹⁵

فيفسر الشیخ هذه الآية مستدلاً على إثبات وجود الله تعالى بدليل خلق الحيوانات من حسن صنعه من حيث الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والعجوة لأولي الألبان بسبب الأنعام، فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويتبقى الفرث في الكرش كما هو فسبحان من هذه بعض حكته يخرج لبناً خالصاً من حمرة الدم وقدارة الفرث بعد أن جمعها وعاها واحداً-

فیقول الشیخ: "وذلك إن الحيوان إذا أكل العلف طبعه الكرش ثم انقسم إلى أقسام ثلاثية تنقل وفوقه اللبن وفوقه الدم ثم تسلط الكبد عليها فتزسل الدم إلى العروق واللبن إلى الضروع ويتبقى النحل في الكرش حتى ينزل إلى الخارج والحاصل أن الله تعالى خلق اللبن في مكان وسط بين الفرث والدم سائغاً للشاربين أي لذيداً هنيئاً لا يغضب به من شربه- ففي ذلك عبرة لمن اعتبر"¹⁶

فاستدل بخلق الحيوانات وحسن صنعه على وجود الله سبحانه وتعالى، كما استدل إلى خلق النحل بين الحيوانات محضاً، فلما ذكر سبحانه بعض أحوال الحيوان وما فيها من عجائب الصنعة الباهرة وخصائص القدرة القاهرة أتبعه بعجائب خلق الإنسان وما فيه من العجائب، فالخطاب لكل فرد من الناس من عقل وتفكير يستدل به على وجود القادر بآيته الخالق لجميع الأشياء المدبر لها بلطف حكته وقدرته-

واستدل بقوله تعالى:

11- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾¹⁷

¹² - فتح البيان، ج 7، ص: 157

¹³ - سورة النحل، 3-7

¹⁴ - جلال الدين السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، 2011، ص: 911

¹⁵ - سورة النحل، 66-68

¹⁶ - فتح البيان، ج 7، ص: 269

12- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَاقَةً فَمُخَّاطَةً مُمْضِغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾¹⁸

يعني خلق وأحيا وأصير بالماء الذي نزره من السماء وينبع من الأرض ويشمل الحيوان والنبات، والماء سبب حياة كل شيء.

فيقول الشيخ: "يمكن المراد بالماء هنا نطفة الرجل وهذا الاحتجاج على المشركين بقدرته الله سبحانه، وبدلج صنعه"،¹⁹

وقد ذكر الله تعالى على اثبات وجوده من الدلائل تحتوى على أربعة أنواع من خلال هذه الآيات:

الأول: الاستدلال بتقلب الإنسان في أطوار الخلق.

الثاني: خلق السماوات.

الثالث: إنزال الماء.

الرابع: الاستدلال بأحوال الحيوانات²⁰

قد يرشد العقل إلى اثبات وجود الله سبحانه وتعالى مستدلا بمراحل الولادة للإنسان كيف يتخلفهم الله ابتداء نطفة، ثم علقة، ثم مضغة ثم نفخ فيهم الروح، ثم يخرجهم إلى الدنيا ثم يتوفاهم بعد ذلك. هكذا سائر الحيوانات وسائر النباتات.

فيقول الشيخ: "فالعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلا لما كان الخلق الأول خلقا أول فهو من الله"²¹

فهذا الاستدلال بالآثار على مؤثراتها، فالإنسان يستدل بالآثار على مؤثراتها، لأن الأثر يدل على المؤثر، يشهد لذلك قول الأعرابي: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير ليل داج، ونهار ساج، وساء ذات ابراج. أفلا تدل على الصانع الخبير"²²

كما استدل بالآية:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ مُمْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِعَالَمِينَ﴾²³

إن في ذلك المذكور سابقا آيات عظيمة الشأن بديعة البيان واضحة البرهان على اثبات وجوده سبحانه وتعالى لقوم يتفكرون. فإن من خلق هذه الأجرام العظيمة بلا مادة مساعدة لها وجعلها باقية مادامت هذه الدار، وخلق فيها من عجائب الصنع وغرائب التكوين، هو عبدة للمعتبرين.

ويقول الشيخ بدليل منطقي: "واختلاف ألسنتكم يعني لغاتكم من عرب، وعجم، وترك، وروم، وغير ذلك، بأن علم كل صنف لغته، أو ألهمه وضعها وأقده عليها أو أجناس النطق وأشكاله، فإنك لا تكاد تسع متكلمين متساويين في الكيفية من كل وجه. وألوانكم من البياض، والسواد، والحمرة، والصفرة، والشفرة، والزرقرة، والخضرة، مع كونكم أولاد رجل واحد، وأم واحدة، يتكلمكم نوع واحد وهو الإنسانية، وفصل واحد وهو الناطقية، حتى صرتم متميزين في ذات بينكم، لا يلتبس هذا بهذا، بل في كل فرد من أفرادكم ما يميزه عن غيره من الأفراد، حتى أن التوأمين مع توافق موادها وأسبابهما، والأمور الملائقية لهما في التخليق، يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه، وفي هذا من بدلج القدرة ما لا يعقله إلا العالمون، ولا يفهمه إلا المتفكرون"²⁴

¹⁷ - سورة الانبياء، 30

¹⁸ - سورة المومنون، 14

¹⁹ - فتح البيان، ج8، ص: 322

²⁰ - فتح البيان، ج9، ص: 101

²¹ - فتح البيان، ج10، ص: 178

²² - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص163

²³ - سورة الروم، 20-22

²⁴ - فتح البيان، ج10، ص: 238، 231

فهذه الأداة الساطعة من القرآن والسنة التي تدل وترشد إلى إثبات وجود الله سبحانه وتعالى فالشيخ صدّيق حسن خان استدلل بهذه الأداة، فكل هذه الأداة التي ذكرها الشيخ صدّيق حسن خان على إثبات وجود الله تعالى فيما نراه على اختلاف المستويات: الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار والجبال والمحيطات والرياح والسحاب والمطر وكل النباتات والحيوانات وجميع أنواع الفاكهة والمواد الغذائية والمشروبات ومعجزات الجنوم البشري، والفضائل مثل الحب والحكمة والجمال، وأداة أخرى أكثر من ذلك بكثير تجل عن المحصر. وكلما تدبرنا في هذه الأداة وقلنا بعمق فيها، زادت قناعتنا وزاد يقيننا بوجود الباري سبحانه وتعالى.

لقد وجدنا تفسير الشيخ صدّيق حسن خان من جدليات المتكلمين والفلاسفة حتى هولم يذكر منسج المتكلمين والفلاسفة وآرائهم. واستقى بأداة من القرآن على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فالأداة الساطعة التي ذكرها واختار لهذه القضية من القرآن والتي تبهر العقول هي خلق الشمس والقمر والنجوم والكواكب مع ذكر الحكم في خلقها وصنع الليل والنهار والجبال والمحيطات والرياح والسحاب والمطر وكل النباتات والحيوانات وجميع أنواع الفاكهة والمواد الغذائية والمشروبات ومعجزات الجنوم البشري، والفضائل مثل الحب والحكمة والجمال، كلها ترشدنا إلى إثبات وجود الله، فيمكن لنا أن نخصر هذه الأداة كلها على أربعة أنواع:

- 1- دليل الفطرة على إثبات وجوده تعالى²⁵.
- 2- دلالة العقل على إثبات وجوده تعالى²⁶.
- 3- دلالة الشرع على إثبات وجوده تعالى²⁷.
- 4- دلالة الحس على إثبات وجوده تعالى²⁸.

فمنسج الشيخ صدّيق حسن خان في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى منسج القرآن، بسيط في الاستدلال، دامغ في البیان ورائخ، فيثبت هذه القضية مع دقة الكلام وسهولة العبارة مستنداً بالآيات القرآنية، فيقتح بالبحج القيمة والبراهين النيرة ويضرب الأمثال. وهذا هو منسج القرآن، فلا يميل إلى كلام المتكلمين والفلاسفة وإلى صحيحهم العقلية البحتة لإثبات هذه القضية. فاستدل باستدلال مباشر حيث يستمد من النصوص، والأدلة القرآنية هي أخبار جاءت من الله عز وجل وفي نفس الوقت هي أدلة عقلية أيضاً ففيها تنبيه للعقل على وجوه الاستدلال المفرط لا مفر للعقل منها لا سيما الأمثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ولذلك قال الله عز وجل: "وما يعقلها إلا العالمون"²⁹. ولكن لما يناقش الشيخ مع العقلايين يشير إلى اصطلاحاتهم الكلامية والمنطقية، كما هو يقيم بأداة إلزامية أيضاً³⁰ كما هو يستمد من أقوال المفسرين من السلف. هكذا استدلال الشيخ صدّيق حسن خان استدلال مباشر وغير معقد، ساذج يرشد العقل مباشرة، فهو جمع الإصالة مع المعاصرة مستمد من مصادر الشريعة.

²⁵ - الفطرة لغة: الخلقة (لسان العرب، ج5، ص56)، التي خلق الله تعالى عليها الإنسان، فالفطرة السليمة تدل مباشرة إلى اثبات وجوده دون ادنى تردد، حتى الكفار مقرون بوجوده سبحانه وتعالى فدلليل الفطرة مسلماً للعقل، والإيمان بالاله شعور فطري، فكل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

²⁶ - فدليل العقل هو دليل الخلق والإيجاد، والإحكام والإتقان

²⁷ - فدليل الشرع بان الكتب السماوية أيضاً تدل على اثبات وجوده تعالى، كما دعوة الانبياء والرسول هي الإيمان بالله الواحد.

²⁸ - والحس يرشد إلى وجوده تعالى إذ يقول سبحانه تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِهِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (الأنبياء: 76)

²⁹ - سورة العنكبوت، 43.

³⁰ - على سبيل المثال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: 31)